استغرق بناؤه (15) عاماً وكان مقراً للسلطة الكثيرية

قصر سيئون.. يحاكي التاريخ وجدرانه وأرجاؤه مشبعة بأحداث عظيمة

المؤرخ السقاف: الفن المعماري للقصر مزيج من العمارة اليمنية والماليزية

(قصر سيئون) التسمية في عهد الوحدة اليمنية، قصر الثورة في عهد ما قبل الوحدة، حصن الدويل في عهد السلاطين .. حصن الدويل هو الاسم الذي ظل يعرف به قصر سيئون حالياً طوال خمسمائة واربعين سنة، عاصر الدولة الكثيرية الاولى والثانية والثالثة الى ان جاءت الثورة الاكتوبرية عام 1963م ثم الجبهة القومية ثم الحزب الاشتراكي في جنوب الوطن سابقاً لتتغير وظيفة القصر من حصن للحكم والتخطيط للازدهار الى معتقل سياسي، والتسمية من حصن الدويل الى قصر الثورة، لكن ليس لوظيفته علاقة بالاسم، وليس للثورة خير من مهمته بعد ما تحول الى قلعة تصدر من ردهاتها وغرفها البديعة أنين وآهات التعذيب الذي مارسه حينذاك الجلادون والحبائب من زوار الفجر.

تحقيق / منصور الغدرة

لكنه فقد الاهتمام والرعاية والصيانة اللازمة حتى اتى عهد الوحدة لينعم بخيرها اسماً وترميماً وصيانة ووظيفة حينما اصبح جزء منه متحفاً لمقتنيات سكان القصر في الدولة الكثيرية وادارة لفرع هيئة الآثار بسيئون، وجزء آخر متحفاً تاريخياً واثرياً للحضارات اليمنية والحضرمية على وجه الخصوص، فيما الجزء الباقي ظل مغلقاً وحسب شهاب السقاف -احد العاملين فيه - ان اغلاق هذا الجزء كان تفادياً لضياع وتوهان السياح والزوار في القصر نظراً لاتساعه وكبره وتعدد مداخله ومخارجه.

ويبدو ان تسمية القصر قد مر بمراحل كما هو حال فترة انشائه وبنائه الذي استغرق خمس عشرة سنة ورغم ان القصر اصبح الجزء الكبير من مرافقه تعرض فيه مستلزمات الدولة الكثيرية من مقتنيات سكان القصر وملابسهم واسلحتهم والموروث الشعبي والعادات الحضرمية في المناسبات والعادات الاحتفالية للاعراس وملابس العريس والعروس الحضرمية .. لكن قبل الحديث عن المحتويات الموجودة في الوقت الحاضر داخل القصر واستخدام غرفه في زمن سلاطين الدولة الكثيرية لابد ان نتناول مكونات القصر والفترة التي عاصرها خلال فترة حكم الدولة الكثيرية .

- المساحة الكلية التي بنى عليها القصر 5460 متراً مربعاً، ويبلغ علوه - ارتفاع بنائه 34متراً، مشكلاً ستة طوابق مبنية من الطين الناعم ومطلي بالنورة والقضاض ومكوناته الكلية هي96 غرفة منها 41غرفة كبيرة الحجم، ويضم 32حماماً - دورة مياه- واربعة عشر مستودعاً ومخزناً لمستلزمات واحتياجات الدولة الكثيرية، بالاضافة إلى 20 سطحاً جانبياً اي شبيه ببناء المدرجات الزراعية.

واما استخدامات طوابق ادوار القصر في عهد الدولة الكثيرية فهكذا جرى تقسيمه : الدور الاول كان يستخدم مستودعاً ومخازن لمتطلبات الدولة والقصر ايضاً فيه سكن الخدم وعمال القصر، فيما ضم الدور الثاني "ريموت" ادارة الدولة الكثيرية - المجلس السلطاني مكتب السلطات الكثيري وهو الآن مكاتب لفرع هيئة المتاحف والآثار بسيئون.

في حين خصص الطابق - الدور- الثالث لسكن العائلات والجلسات العائلية والرابع خصص لزوجات السلطان واستقبال الضيوف من النساء .

أما الطابق الخامس فهو عبارة عن سطح يحرسه ستار من البناء يلف القصر كالعمامة متصلاً بالغرفتين المبنيتين في جهتين متقابلتين (الشرقية والغربية) كان يستخدم السلطان أحداهما للراحة والأخرى غرفة نوم خاصة به، والطابق السادس عبارة عن سطوح متنفس لسكان القصر وبإمكان الواقف عليه رؤية ومشاهدة كل ما يدور في المدينة وحول القصر، بل ومشاهدة الذاهب الى خارج المدينة والقادم إليها.

- معروف أن القصر قد عاصر الدولة الكثيرية واستغرقت فترة بنائه 15سنة وكان أول من بناه واتخذه مقراً للسلطنة، ويعود تاريخ بنائه إلى سنة 814هجرية الموافق 1411ميلادية وكان السلطان بدر ابو طويرق الكثيري أول سلطان اتخذه مقراً لإقامته في عام 1516ميلادية الموافق 922هجرية وعقب انهيار الدولة الكثيرية الأولى وفي سنة 1364هجرية عاد السلطان غالب بن محسن الكثيري إلى السلطة من جديد وأقام فيه واتخذ منه مقراً لإدارة دولته الكثيرية الثانية إلى أن خلفه في الحكم ابنه السلطان منصور بن غالب الكثيري الذي قام في عام 1873ميلادية بهدم القصر وبنائه من جديد واجرى التوسعة في مداخله ولم يشهد بعد ذلك أية ترميمات أو صيانة أو طلاء بالنورة سوى مرتين الأولى عام 1936م في عهد السلطان الكثيري والثانية في عهد دولة الوحدة .

كان السلطان حسين بن علي بن منصور الكثيري هو آخر من سكنوا القصر من سلاطين الدولة الكثيرية التي سقطت في الثاني من أكتوبر 1967م وسلطانها حينذاك في سويسرا ضمن الوفد اليمني الذي ذهب للتوقيع على اتفاقية الاستقلال، لكنه عاد حينذاك ليجد سلطنته قد سقطت فعاد من عرض البحر ليعيش في مدينة جدة السعودية إلى أن توفي ودفن هناك عام 1976م.

- ويروي هنا المؤرخ جعفر محمدالسقاف - الذي عمل ضمن إدارة الدولة الكثيرية طوال 63سنة عمل خلالها سكرتيراً إعلاميا وعاصر خمسة سلاطين منهم- يروي عهد هذه الدولة وما شهدته من ازدهار وكذا المراحل والكيفية التي بني بها القصر فيقول:

تلك الفترة فترة الدولة الكثيرية- كانت حضرموت مزدهرة ازدهاراً حضارياً واقتصادياً، فالسيولة النقدية تأتي إلى حضرموت من بلدان كثيرة من الهند ومن جنوب شرق آسيا - حيث عرفت حضرموت السيارة «الروزراس» قبل ان تعرفها عدن او السعودية . حينذاك كان الملك عبد العزيز لديه ناقة وجمل عام 1952م وعندنا في حضرموت السيارة «الروزراس » وعرفت حضرموت الكهرباء والتلفون السلكي والحراثات والمهندسين اليابانيين، واسواق الجواهر الكريمة غالية الثمن التي لا تتواجد حينها في كل دول الخليج.

- في أي عهد من الدول الحضرمية أو السلاطين كان هذا الازدهار؟

الفترة المزدهرة كانت في 1250هـ - 1350هـ هجرية مائة سنة، وهذه الفترة نحن سميناها الفترة الذهبية، في عهد الدولة الكثيرية والدولة القعيطية .. فتحت عدد من من الأربطة لتحصيل العلم والمكتبات العلمية والثقافية ومهرجانات سباق الخيول والجمال .

- كم الفترة التي عملت خلالها في الدولة الكثيرية؟

امتدت الفترة 1383-1347هجرية إلى ما بعد الاستقلال، وعايشت سلاطين الدولة الكثيرية وعملت سكرتيراً إعلاميا لخمسة سلاطين كان أولهم السلطان منصور بن غالب الكثيري عام 1347هـ، ثم ابنه السلطان علي بن منصور، ثم شقيقه السلطان جعفر بن منصور واحمد بن جعفر، وأخيرا الحسين بن علي واذكر انه حينما حدث خلاف بين السلطان الكثيري مع احد الأمراء على ولاية العهد سافرت حينها مع السلطان الكثيري إلى السعودية ثم إلى أسمرة، وأعكف حالياً على تأليف كتاب سيصدر قريباً بعنوان (في بلاط السلطنة الكثيرية) مزود بالصور والوثائق والمعاهدات التي عقدتها الدولة الكثيرية مع القبائل والسلطنات والسلطات البريطانية في عدن.

- قصر سيئون أو حصن الدويل كم استغرقت فترة بنائه وكيف تم؟

يذكر المؤرخون أنهم ظلوا يبنونه خمس عشرة سنة نظراً للخصوصية التي يتطلبها بناء القصر من الطين - حيث كانوا كلما بنوا طابقاً او جزءاً منه تركوه لفترة طويلة يتعرض للرياح والشمس لكي تجف منه الرطوبة ويتمكن الطين من افراز أملاحه ثم بعد ذلك يتم طلاؤه بالقضاض والنورة وهذا ايضاً يحتاج إلى فترة طويلة ليتعرض للشمس . بل أن بناء القصر تم على فترات ومراحل - اذ لم يكن القصر في المرحلة الأولى مطلياً بالقضاض او الجص وإنما بالطين فقط، وكان بناء المرحلة الأولى قبل 15سنة ثم تطور بناؤه بإضافة ردهات ومرافق خدمية، بل أن بوابة القصر في البداية لم تكن واسعة تسمح بدخول السيارات، وإنما كانت صغيرة بحيث تستوعب دخول الجمل محملاً.

كما ان بناء القصر كان في المرحلة الأولى قد جسدت فيه تشكيلات فنية بعضها يمنية وأخرى تأثير بالفن المعماري الماليزي إذ أنه يوجد لدي صور للقصر وعلى بنائه شكل النجمة السداسية والشمعدان اليهودي والهلال، لان الفن المعماري عندنا يعكس التاريخ اليمني الذي وجدت فيه الديانة اليهودية ثم المسيحية ثم الديانة الإسلامية.

- أين قامت الدولة القعيطية ؟

وجدت أولاً في الداخل من وادي حضرموت كدولة سرية، حيث عاد عوض بن عمر من الهند ليمد بعد ذلك الدولة القعيطية إلى ساحل حضرموت - المكلا- ووزراؤهم هم الذين فتحوا لهم المناطق والأقاليم كحسين حامد المحضار الذي فتح المكلا والشحر وبروم والدولة القعيطية قامت على أنقاض الدولة الكثيرية الثانية بعدما اتى بهم السلطان الكثيري كجنود لديه- من قبائل يافع- لكن بعدما أصبحوا مماليك وقويت شوكتهم صار لهم سلطة، لكن انتهت دولتهم بقيام الدولة الكثيرية الثالثة على يد السلطان غالب بن محسن الكثيري مؤسس الدولة الكثيرية الثالثة التي انتهت بقيام ثورة 14اكتوبر عام 1963م .